المحلّل لعلم الطب

عليّ بن عبّاس الأهوازي

بقلم : د. علي عبد الله الدفاع

أبو الحسن علي بن عباس المعروف باسم المجوسي، حرف الغرب اسمه فاشتهر باسم هالي عباس (Hally Abbas). ولد أبو الحسن في مدينة أهواز في الجنوب الغربي من إيران بالقرب من جند يسابور ولم يعرف بالضبط تاريخ ولادته، ولكنه توفي عام ٣٨٤ هجرية (٩٩٤ ميلادية). والجدير ذكره أن أبا الحسن على بن عباس جاء من عائلة زرادشتية، أما هو فكان من أئمة الإسلام، لذا نرى أن لقب المجوسى قد حذف من اسمه، إكتفاءً بالأهوازي، لأن مسقط رأسه مدينة أهواز، وكثير من علماء العرب والمسلمين ينسبون في كثير من الأحيان إلى مسقط رءوسهم. ذاع صيت علي بن عباس في الطب في أرجاء المعمورة، حتى صار الأطباء والمرضى يأتون من كل فج لزيارته وللاستفادة من ارشاداته الطبية. يقول جلال مظهر في كتابه : «حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي» : كان على بن عباس المتوفي عام ٩٩٤ م واحدًا من أهم الأطباء العرب الذين عرفهم الأوربيون واتخذوا كتاباته أساسًا لدراسة الطب .. وربما يكون علي بن عباس أول طبيب مسلم عرفه الغرب اللاتيني».

لم يكن **علي بن عباس الأهوازي** من الأطباء الذين اشتهروا بكثرة مصنفاتهم، لكنه كتب كتابًا بعنوان: «**كامل الصناعة الطبية**» صار مرجعًا لجميع الأطباء في الشرق والغرب على السواء. وقد اعتمد في مؤلفه المذكور على **المشاهدات العملية** وحاول أن يطبق كل النظريات الطبية في غرفة العمليات. يذكر إسماعيل محمد هاشم في كتابه: «**محاضرات في نصيب العرب في تقدم العلم والحضارة**»؛ أن **عليًا بن عباس** استند في مؤلفه الملكي المعروف بكامل الصناعة الطبية على مشاهداته العملية في المستشفيات لا على مجرد الدراسة النظرية. أما إدوارد ج. براون فيقول في كتابه «**الطب العربي**»: «علي بن عباس المجوسي المعروف في أوروبا في العصور الوسطى باسم **هالي عباس** (Hally Abbas) طبيب بارع كامل الصفات فارسي الأصل، تابع دراسته بنفسه واطلع على كل ما كتبه القدماء. **وقد ألف كتابه المسمى «الملكى» للملك عضد الدولة البويهي** (١) **وضمنه طريقته في الطب**، وهو كتاب بديع وذخيرة تحتوي على علم الطب والتطبيب مرتبة خير ترتيب، وهو أسهل كتب الطب العربية العظيمة منالاً وأكثرها صلاحية للقراءة».

بقي كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس المرجع الوحيد الذي استمد منه علماء العرب والمسلمين في الطب معلوماتهم. والجدير بالذكر أن هذا المؤلف سيطر على مكتبات الأطباء في العالم حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا، الذي لم يحل محله، بل كان إضافة جيدة، لأن ابن سينا تناول في هذا المصنف الناحية النظرية والفلسفية في حقل الطب مع تقديمه لكثير من الأفكار الطبية العملية. ويذكر محمود دياب في كتابه «الطب والأطباء في **مختلف العصور الإسلامية**»: «**أن كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس المجوسي والذي ألفه للأمير عضد الدولة فناخسرو بن بويه كان مؤلفًا يمتاز بتبويبه وشروحه المفصلة في علم الطب، لذا صار مصدر علم علماء الطب إلى أن ظهر في حيز الوجود كتاب القانون لابن سينا**»، لذا يمكن القول أن الملكي (**كتاب كامل الصناعة الطبية**) في العمل أبلغ والقانون في العلم أثبت. **وأضاف سامي حداد في محاضرة ألقاها في جمعية (العروة الوثقى) بجامعة بيروت الأمريكية تحت عنوان** «مآثر العرب في العلوم الطبية» **أما كتاب علي بن عباس المجوسي** (الملكي) **ويعرف** (بكامل الصناعة الطبية) **فهو تحفة نفيسة جدًا وأثر جليل من الآثار العربية التي وصلت لنا من القرن الرابع الهجري. وهو بترتيبه أقرب إلى**

الكتب الطبية الحديثه من سواه مما أتى قبله أو بعده، وبنظرى أنه أفضل ما ألفه العرب في العلوم الطبية بلا استثناء. فهو كما يدل عليه عنوانه كامل في وضعه وموضوعه شامل لعلم الطب وعمله. قسمه المؤلف إلى عشرين مقالة وكل مقالة إلى أبواب.

ويظهر لنا من تعليق كثير من علماء الطب أن كتاب كامل الصناعة الطبية موسوعة طبية كاملة يرجع إليها الأطباء لمعالجة جميع الأمراض ليتمكنوا من فهم العلل وأسبابها وأعراضها وتشخيصها ووصف الدواء المناسب لعلاجها. ومن الممكن جدًا أن نقول أن **علي بن عباس الأهوازي يعتبر نابغة عصره بعلمه وطبه، ويعتبر الكثيرون من علماء الطب أن كتاب كامل الصناعة الطبية أفضل من كتاب القانون لابن سينا.** يقول أحمد شوكت الشطى في كتابه: **تاريخ الطب وآدابه وأعلامه :** «**ألف علي عباس المجوسي الأهوازي كتابه الشهير بكامل الصناعة الطبية للملك عضد الدولة البويهي** ... والحق أن هذا الكتاب من أحسن الكتب الطبية، إذ جمع فيه فن الطب بكامله في ذلك العصر ... ولقد ذاعت شهرة هذا الكتاب، إذ يمتاز عن غيره بتنظيمه ودقته وبما جمع من أصول فن الطب ونظرياته ... ويعد الكثيرون ممن قارنوا بين كتابه (**الكامل**) وكتاب ابن سينا (**القانون**) رجحان الأول على الثاني».

ولأهمية كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس الأهوازي ظلت أوروبا تحاول ترجمته من اللغة العربية إلى اللاتينية. وأخيرًا وافق علماء أوروبا في الطب أن يتمكنوا من الحصول على المعلومات الطبية الواردة في كتاب كامل الصناعة الطبية عبر ترجمة قسطنطين الأفريقي(٢). ويذكر التيجاني الماحي في كتابه : **مقدمة في تاريخ الطب العربي** : (أن قسطنطين الأفريقي قد ترجم كتاب كامل الصناعة الطبية بين عامي (١٠٧٠ — ١٠٧٨ ميلادية) ويشتمل الكتاب على أبواب عديدة، ولكنه قسم إلى عشرين مقالة. أما المقالتان الأولى والثانية فهما مقتصرتان على فصول في التشريح، فكانت المرجع الرئيسي لهذا العلم في سالرنو بايطاليا والعالم أجمع. **ومن المؤسف حقًا أن قسطنطين الأفريقي عندما ترجم كامل الصناعة الطبية نسبه لنفسه وأهمل تمامًا المؤلف**، فكان متأثرًا بالمنهج الذي كان يتبعه علماء أوربا أنذاك. **والجدير ذكره أن عليًا ابن عباس الأهوازي انتقد كلا من مؤلفات أبقراط وجالنيوس وأوريبازيوس وأوضح أغلاطهم في مجال الطب، كما وصف أبقراط بالإيجاز والغموض وجالنيوس**

بالإسهاب والتوسع غير الضروري. أما نشأت الحمارنة فيذكر في مجلة (الكحال) : «أن كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس من أحسن الكتب التي ألفت في القرن العاشر الميلادي. ترجمه من اللغة العربية إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي في القرن الحادي عشر الميلادي دون أن يذكر اسم المؤلف، وانتشر الكتاب في أوربا، ولم يعرف الدارسون من ألفه إلا بعد أن ترجمه مرة ثانية «إتيان الأنطاكي (Etienne the Antioch) وذلك في أول القرن الثاني عشر الميلادي. لذا نجد أن معظم نظريات ابن عباس الأهوازي سبق وأن نسبت إلى علماء أوروبيين.

لقد سخر الله تبارك وتعالى اتيان الانطاكي أن يترجم مرة ثانية كامل الصناعة الطبية سنة ١١٢٧ ميلادية في انطاكية، والسبب الذي دفعه إلى القيام بعمل كهذا بعض الملاحظات التي شك فيها، كما أنه استغرب مقدرة قسطنطين الأفريقي أن يؤلف مثل هذا الكتاب، فلجأ الانطاكي إلى البحث عن مخطوط هذا الكتاب فوجده، وترجمه وأعطى المؤلف حقه فنسبه لصاحبه علي بن عباس الأهوازي وانتقد قسطنطين نقدًا قاسيًا، ومنذ ذلك الحين عرف كتاب (كامل الصناعة الطبية) أخيرًا باسم مؤلفه الحقيقي، ويذكر جلال مظهر في كتابه: «أثر العرب في الحضارة الأوروبية» : «أن علي بن العباس الأهوازي أول طبيب عربي عرفه الغرب اللاتيني إذ ترجم قسطنطين الأفريقي كتابه الملكي (Liber Regal's)، إلا أن قسطنطين كعادته نسب العمل لنفسه، وأغفل تمامًا ذكر المؤلف الأصلي غير أن هذه الترجمة مع سوئها أثرت على أية حال تأثيرًا كبيرًا في دراسة الطب في الغرب اللاتيني».

لقد أعطى الطبيب المشهور علي بن عباس الأهوازي بعض الإرشادات والمؤشرات التي يجب على الإنسان اتباعها لحفظ صحته، كما قدم أدلة قاطعة في هذا المجال. ويذكر **عمر رضا كحالة في كتابه : «العلوم العملية في العصور الإسلامية» : «أن علي بن عباس المجوسي من مسلمي فارس، من أهل الأهواز المتوفي سنة ٣٨٤ هجرية (٩٩٤ ميلادية) اشتهر بالطب والتصنيف في هذا المجال، فكانت بحوثه تبرز حفظ الصحة التي هي في حد ذاتها أجل من معالجة المرض.** وقد قسم بحث حفظ الصحة إلى ثلاثة أقسام الأول حفظ صحة الأبدان الصحيحة، والثاني حفظ صحة الأبدان الضعيفة التي تحتاج إلى إنعاش، والثالث حفظ صحة الأبدان التي كادت أن

تقع في الأمراض. كما حث علي بن عباس المجوسي في كثير من مؤلفاته على الرياضة وأنها من أفضل ما يستعمله الإنسان في حفظ الصحة، وأعظمها منفعة إذا كانت قبل الغذاء، وذلك لأنها تقوي الأعضاء وتصلبها وتحلل الفضول التي تبقى في الأعضاء من الغذاء، وكلما كانت الرياضة أقوى كان الهضم أجود وأسرع، ويذكر دليلاً على ذلك ما يرى من صحة الأبدان أصحاب الكد والتعب وقلة ما يعرض لهم من الأمراض. ويوصي ابن العباس بعدم اللجوء إلى الرياضة بعد الأكل مباشرة، وعندما يكون الطعام في المعدة لئلاً ينحدر إلى الأمعاء قبل انهضامه جيداً».

ولقد تناول علي بن عباس الأهوازي فروع الطب المختلفة في كتابه (كامل الصناعة الطبية) وخصص لكل فرع حصته، فتناول هذه الشطور المختلفة بعمق أدهش الكثير من أطباء العالم. يقول جمهرة من المؤلفين العرب في كتابهم **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب** : «**ألف علي بن عباس في الطب كتابه (الملكي) أو كامل الصناعة الطبية في عشرين مقالة، كل منها مقسم إلى عدد من الأبواب. وتتناول المقالات العشر الأولى النواحي النظرية، أما المقالات العشر الأخرى فتتناول صناعة الطب، وقد خص منها مقالة في صميم العمل باليد وهي تشمل (١١٠) فصلاً في الجراحة**. وهو يصف علاج قطع الشريان والورم المسمى (أنورسما **Aneurysm**)، ويصف طريقة علاج جرح الشريان العضدي الذي كثيرًا ما يصاب أثناء عملية الفصد، ويوصي بأنه إذا لم تفد القابضات والكي يشرح الشريان ويربط من الناحيتين ويقطع بين الرباطين».

ولقد درس مرض الصرع (**افيلبسيا**) بكل تعمق حتى أنه وصل إلى نتائج بقيت مرجعًا عبر العصور لما فيها من أصالة وعمق في مجال الطب. يقول أوسل تمكن في كتابه : «**تاريخ افيلبسيا من عصر اليونان إلى ظهور دراسة الجهاز العصبي الحديث**» : «بدون الدعاية والمفاخرة عرف أطباء العصور الوسطى مرض الصرع (**افيلبسيا**) وعلى رأسهم علي بن عباس المجوسي الذي شرح بكل جدارة ووضوح أسباب مرض الصرع، وذلك بقوله أن تعوق المخ ناتج من الضغط عليه وذلك من تمزق النسيج اللين في الرأس، الذي يصحبه مرض مزمن».

لقد كان علي بن عباس الأهوازي من علماء الإسلام الأفاضل، فقد أحاط بجميع فروع الطب بمصنفه (كامل الصناعة الطبية) وعمله في عيادته. فقد عانى

عرب الجزيرة العربية من مرض العيون الكثير، فاستعمل أطباء العرب والمسلمين بعض الأدوية **القابضة والمحللة والمنضجة والمخدرة للعين.** لذا نجد أن عليًّا بن عباس الأهوازي قد كرس جهده لهذه المشكلة العويصة. يقول في كتابه المذكور : «العين عضو ذكي الحس لم يجز أن تستعمل فيها أدوية قوية ولا تورد عليها أدوية كثيرة دفعة. انظر فاذا كان السبب باديًا أعني من حر الشمس والغبار والدخان فإن برأه يكون أولاً بزوال تلك الأسباب».

وقد اهتم علي بن عباس الأهوازي بطب الأسنان اهتمامًا بالغًا، مما جعله يقدم دراسة متكاملة عن هذا الموضوع في كتابه كامل الصناعة الطبية. فعلى سبيل المثال لا الحصر شرح شرحًا كاملاً كسر الفك الأسفل إلى درجة أن هذه المعلومات بقيت معتمدة عبر العصور. ويجدر بنا أن نذكر نص ما قاله في كتابه كامل الصناعة الطبية «متى انكسر اللحى الأسفل من خارج، ولم يفصل ما انكسر فينبغي أن تنظر، فان كان الكسر في الفك الأيسر فينبغي أن تدخل الأصبع الوسطى من اليد اليسرى والسبابة في الفم وترفع بهما الحدب الحادث في الفك إلى خارج حتى يستوي وتسويه على شكله من خارج باليد اليمنى. وإذا كان الكسر في الفك الأيمن فأدخل اصابع اليد اليمنى وافعل بها مثل ما ذكرت لك، وأنت تعرف رجوع الفك إلى حاله، من استواء الأسنان التي فيها ورجوعها إلى أصلها الطبيعي. فان انكسر اللحي واندار ما انكسر فينبغي أن تستعمل المد من الناحيتين بمعاونة بعض الخدم لك حتى ترده إلى حقه وشكله وينبغي أن تشد الأسنان التي في اللحي المكسور برباط من ذهب أو فضة بعضها إلى بعض إن أمكن ذلك فان لم يمكن فتربط بخيوط من ابريسم مفتولة فتلا جيدًا ثم تستعمل الرباط الذي ينبغي أن يربط وهو أن تصير وسط الرباط على القفا وتمد الطرفين من الجانبين وتمر بهما على الأذنين إلى أن يصير اللحى إلى محله».

لقد تعرض علي بن عباس الأهوازي لوظيفتي الإنقباض والإنبساط في دراسته لعلم الطب، التي قادته إلى أهمية الدورة الدموية في الأوعية الشعرية. لذا كان علي بن عباس الأهوازي من العلماء في الإسلام الذين لهم السبق في دراسة هذا الموضوع المهم. ومن أسف أن علماء الغرب استطاعوا أن يضللوا الناس بزعمهم أن العالم الإنجليزي المشهور هارفي (٣) هو صاحب هذه الفكرة. **يقول أمين أسعد خير الله في كتابه : «الطب العربي»إن «علي بن عباس المجوسي سبق هارفي في وصف الدورة**

الدموية في الأوعية الشعرية أثناء كلامه عن وظيفتي الإنقباض والإنبساط وعن وظائف الجسم الحيوية وهذا الوصف أقرب جدًا من الحقيقة». وأضاف أحمد شوكت الشطي في كتابه : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه قائلاً : «يعد علي بن العباس أول من ذكر وجود شبكة شعرية بين العروق النابضة وغير النابضة أي بين الشرايين والأوردة.

لقد كان التدرن الرئوي (**السل**) من الأمراض المنتشرة في العالم في ذلك الوقت فقد أدلى العالم المسلم علي بن عباس الأهوازي بدلوه حتى أنه وفق في الوصول في بحوثه إلى معرفة صعوبة شفاء مرض السل معللاً ذلك أن الرئة دائمة الحركة، فهزاتها المستمرة تحول دون التحام القرحة. يقول أحمد شوكت الشطي في كتابه : **تاريخ الطب وآدابه وأعلامه : «يعتبر علي بن عباس المجوسي أول من نبه إلى صعوبة شفاء السل الرئوي، بسبب حركة الرئة».**

لقد لقب علي بن عباس الأهوازي بالمحلل لعلم الطب، لذا نجده قد قدم ملاحظاته العلمية على مؤلفات كل من أبقراط وجالينوس وبولس وغيرهم ممن اشتهر بإنتاجه في هذا المجال. كما ذاع صيت علي بن عباس الأهوازي بنقده العادل البناء. لذا نجد أن جلال مظهر يذكر في كتابه : **(أثر العرب في الحضارة الأوروبية — نهاية عصور الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة)** أن عليًّا بن عباس الأهوازي كان ناقدًا أيضًا للقدماء فأشار في إنتاجه العلمي إلى ما اعتقد من الأغاليط في كتب كل من أبقراط وجالنيوس وأوريبازيوس وبولس الأجنيطي. فعلى سبيل المثال وصف علي بن عباس أبقراط بالإيجاز والغموض وجالنيوس بالتوسع والتطويل.

وقد أولى الأهوازي اهتماماً بالغًا بحركة الرحم. يقول في هذا الصدد عمر فروخ في كتابه : **تاريخ العلوم عند العرب : أن علي بن عباس المجوسي له نظريات متطورة في علم حركة رحم المرأة ما نصه : «وفيه أيضًا كلام على حركة الرحم، وذلك أن الجنين لا يخرج من تلقاء نفسه، ولكن الرحم هي التي تدفعه إلى الخروج». ولم يكتف بهذا القدر بل تكلم عن تطور الجنين في رحم المرأة بطريقة عملية مخبرية متطورة أدت إلى الإستغراب بين علماء العصر الحديث، ويتضح ذلك من قوله في كتابه كامل الصناعة الطبية «الجنين إنما يتم بامتزاج مني الذكر بمني الأنثى، ومن شأن الرحم أن**

تنضم من جميع نواحيها وتمسكه، ويمتزج المنيان ويصيران إلى تجويف الرحم، ويتكون منهما الغشاء الذي يحيط بالجنين، إلى أن تتصل ما به من العروق والشرايين بأفواه العروق والشرايين التي تعبر إلى الرحم. ويقال لهذا الغشاء المشتبك فيه العروق والشرايين بالمشيمة. أما تكوين الجنين نفسه فيحدث نفاخات إذا خالط المنيان أحدهما الآخر من حرارة الدم، وتجتمع النفاخات إلى تجويف عظيم وتجتمع في هذا التجويف مقدار من الروح، ثم يبدأ ظهور أعضاء الجنين. وأول شيء تبدأ به القوة المصورة الأعضاء التي هي الأصول لأكثر الأعضاء وهي الدماغ والقلب والكبد وسائر الأعضاء اللحمية وسائر الأعضاء الباقية التي في الجنين الكامل. وعند ذلك يبدأ الجنين يتحرك. ويتم خروج الجنين إما في الشهر السابع أو في الشهر التاسع. وأضاف علي بن عباس قوله : «ان احتاجت الحامل في بعض الأوقات إلى الفصد أو شراب الدواء المسهل بسبب بعض العلل، فلا ينبغي أن تقدم على ذلك في أول الأمر إلى أن يصير لها أربعة أشهر، وتفعل ذلك في الخامس والشهر السادس والسابع وتتجنب ذلك في الشهر الثامن والتاسع لأن الأربعة الشهور الأولي يكون الجنين فيها ضعيفًا محتاجًا إلى الغذاء ، والاستفراغ ينقص من غذائه فيموت. وفي الشهر الثامن والتاسع يكون الجنين قد كبر ويحتاج إلى غذاء أكثر، فإذا استفرغت المرأة قل غذاء الجنين ولم يبق حيًا».

ومن العجيب أن علي بن عباس الأهوازي تكلم عن السرطان في رحم المرأة وأعطى تشخيصًا علميًا ممتازا يدل على طول باعه في مجال الأورام الخبيثة، التي كانت من الموضوعات غير المتطورة آنذاك. ولعل ما قاله جمهرة من المؤلفين في كتابهم : «**الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**» نقلاً عن علي بن عباس الأهوازي : «عدم الحبل إما من قبل المرأة يكون إما عن سوء فراج (٤) الرحم (كذا)، وإما عن مرض آلي، وإما خلط مصبوب في تجويفه . والذي من قبل الرجل إما من رداء فراج (٥) المني (كذا)، وإما من مرض آلي مثل تعويج مجرى القضيب. وأضاف ربما كان السرطان مع تقرح أو من غير تقرح ، فمن كان من غير تقرح فيستدل عليه بالوجع الشديد أسفل البطن والعانه . أما إذا كان مع تقرح نفس الأعراض السابقة وكثيرًا ما يسيل منها رطوبة مائية».

لقد اشتهر علي بن عباس الأهوازي في فن الجراحة فأجرى عمليات جراحية عدة

على جميع أجزاء جسم الإنسان تقريبًا. لقد كان مفخرة لعلماء العرب والمسلمين حين قام بعملية شق واخراج الحصاة بطريقة جراحية متطورة. يذكر أحمد عيسى بك في مقالة بعنوان : «آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب» التي ألقاها على أعضاء المجمع العربي بدمشق بمناسبة انتخابه عضوًا : «أن علي بن عباس المجوسي قد شرح شرحًا وافيًا عملية الشق العجاني للحصاة بطريقة جراحية تدل على تفننه في ميدان علم الجراحة».

لقد اهتم علي بن عباس أيضًا بعملية اللوزتين اللتين كانتا تعالجان بالعقاقير المتنوعة، فقد أجرى عدة عمليات، وكان النجاح حليفه في هذا الموضوع. كما هو مشروح شرحًا مفصلاً في كتابه «كامل الصناعة الطبية» بقوله : «ورم اللوزتين إذا عظم وطالت مدته وعسر على صاحبه البلع ولا تنجح فيه الأدوية والغرغرة وما يجرى هذا المجرى فينبغي أن يستعمل فيها القطع. والسبيل إلى ذلك أن تأمر العليل أن يقعد بين يديك مقابل الشمس وتأمره أن يفتح فاه وتأمر الخادم أن يمسك برأسه إلى الخلف وتأمر خادمًا آخر أن يمسك لسانه ويكبسه إلى أسفل بالآلة التي يكبس بها اللسان، ثم تأخذ سناره وتغرزها في أحد اللوزتين وتخرجها إلى الخارج، من غير أن تجذب معها شيئًا من الأغشية والأجسام التي هناك ثم تقطعها من أصلها بالآلة التي تصلح لذلك. وبعد أن تقطع إحداهما تقطع الأخرى أيضًا وتغرغر العليل بماء ورد وخل مبرد فإن عرض من ذلك نزف فينبغي أن تغرغره بماء السُّماق».

لقد أولى علي بن عباس الأهوازي للعاملين بمهنة الطب، حين قدم عدة نصائح للأطباء، فيقول في كتابه : «كامل الصناعة الطبية» : «ينبغي للطبيب أن يكون طاهرًا ذكيًا دينًا، مراقبًا لله عز وجل، رقيق اللسان، محمود الطريقة، متباعدًا عن كل نجس ودنس وفجور، وأن لا يفشي للمريض سرًا ولا يطلع عليه قريب أو بعيد فان كثيرًا من المرضى يعرض لهم أمراض يكتمونها عن آبائهم وأهاليهم ويفشونها للطبيب ... ومما ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازمًا للبيمارستان ومواطن المرضى، كثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع الحُذَّاق من الأطباء، كثير التفقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم متذكرًا لما كان قد قرأه من تلك الأحوال ومما يدل عليه من الخير والشر، فانه إذا فعل ذلك بلغ من هذه الصناعة مبلغًا حسنًا، ووثق به الناس ومالوا إليه ونال المحبة والكرامة.

أما زكي علي فيقدم في كتابه : «رسالة الطب العربي وتأثيره على مدنية أوربا» ملخصًا لبعض النصائح التي تتردد على لسان الأهوازي في مؤلفه **«كامل الصناعة الطبية» لطلابه منها :**

١ ــ الحث على ملازمة المستشفيات كي يسهل الاتصال به في حالة الضرورة.
٢ ــ زيارة منازل المرضى.
٣ ــ بذل العناية في دراسة الحالات التي في المستشفيات بصحبة أساتذتهم.
٤ ــ تذكر اختلاف الأعراض التي تعتري المريض.
٥ ــ محاولة كسب ثقة المريض حتى تزداد فائدته.
٦ ــ ينبغي أن يكون كثير المداولة لأمور المرضى مع زملائه وأساتذته حُذَّاق الاطباء.

وخلاصة القول أن عليًا بن عباس الأهوازي يعتبر علمًا من أعلام المسلمين الذين ذاع صيتهم في حقل الطب. ولقد اكتفى من التأليف بكتابه كامل الصناعة الطبية الذي كان بمثابة موسوعة علمية في الطب النظري والكلينيكي. والجدير ذكره أن علماء عصره اهتموا بكثرة المصنفات واشتهروا بذلك، لكن علي بن عباس الأهوازي حسب علمنا لم يؤلف إلا كتابه المذكور الذي جمع فيه استنباطاته الطبية التي لم يسبق إليها أحد، حتى كان الكتاب المذكور مرجعًا ضروريًا للطبيب الباحث والكلينيكي على السواء. وقد اتضح جليًا بين علماء تاريخ العلوم أن كتاب كامل الصناعة الطبية فيه بحوث أصلية كانت المعول المتحرك الذي وجه أوربا إلى تقدم طبها. ولا شك أن أوربا مدينة لعلماء العرب والمسلمين في العلوم بعامة وفي حقل الطب بخاصة. **فلولا علي بن عباس الأهوازي والرازي وابن سينا وابن زهر والزهراوي وغيرهم من علماء الطب في الحضارة العربية والإسلامية لبقيت أوروبا ترزح في ظلامها الحضاري الدامس.**

حقًا إن **عليًا بن عباس الأهوازي** كان بصيرًا بعلم الطب منصرفًا لهذا العلم من العلوم بارعًا ومتقنًا له. لذا نجده ذا مكانة علمية مرموقة بين معاصريه، فلم يجرؤ أن ينازعه منازع في حقل الطب النظري والكلينيكي حيث أنه كان محيطًا بمعرفة دقائقه وغوامضه. ومما لا يقبل الجدل أنه كان من بين العلماء في الإسلام الذين اعتكفوا واستغلوا وقتهم في البحث والتنقيذ والكد في سبيل تطوير علم الطب في جميع فروعه. لقد خلف علي بن عباس الأهوازي تركة مليئة بالمبتكرات والاستنتاجات الطبية التي

عادت على الأمة الإسلامية في غابرها وحاضرها بالخير والنفع. إن الأمة العربية والإسلامية لفخورة بأن تنجب عالمًا كابن عباس الأهوازي.

لقد اشتهر طبيبنا علي بن عباس الأهوازي بالتواضع والعطف على الفقراء. فقد صقل علمه روحه مما جعله من عظماء العالم أجمع. إن إخلاصه وتفانيه سيطرا على جميع أعماله. حتى عرف بين علماء تاريخ العلوم بزهده ونزاهته وإعلانه للحق ولو على نفسه ومحاربته الغرور والفساد. وطبيعي أن هذه الأمور لم تخف على علماء الغرب، فقد كرسوا جهودهم لترجمة إنتاجه في الطب من اللغة العربية إلى اللغات المختلفة الأوربية وعلى رأسها اللاتينية.

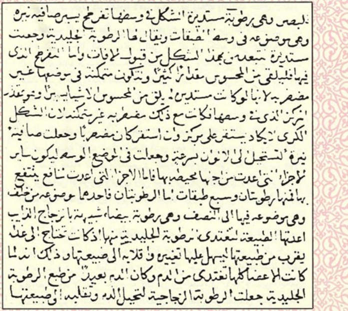

البصر وهي رطوبة مستديرة الشكل في وسطها تفرطح يسير صافية نيرة
وهي موضوعة في وسط الطبقات ويقال لها الرطوبة الجليدية وجعلت
مستديرة لتبعد بعد الشكل من قبول الآفات وأما التفرطح الذي
فيها فليلتقي من المحسوس مقدار كثير ولتكون متمكنة في موضعها غير
مضطربة لأنها لو كانت مستديرة لم يلتق من المحسوس إلا شيئا يسيرا وتوجد
المركز الذي في وسطها فكانت مع ذلك مضطربة غير متمكنة لأن الشكل
الكري لا يكاد يستقر على مركز وإن استقر كان مضطربا وجعلت صافية
نيرة لتستحيل إلى الألوان بسرعة وجعلت في الموضع الأوسط ليكون سائر
الأجزاء التي عددت من أجلها محيطة بها فأما الأجزاء التي عددت منافع ينتفع
بها فمنها رطوبتان وسبع طبقات أما الرطوبتان فأحدهما موضوعة من خلف
وهي موضوعة فيما إلى النصف وهي رطوبة بيضاء شبيهة بالزجاج الذائب
أعدتها الطبيعة لتغتذي الرطوبة الجليدية منها إذ كانت تحتاج إلى غذاء
يقرب من طبيعتها ليسهل عليها تغييره وإقلابه إلى طبيعتها وذلك أنه لما
كانت الأعضاء كلها تغتذي من الدم وكان الدم بعيدا من طبع الرطوبة
الجليدية جعلت الرطوبة الزجاجية لتحيل الدم وتقلبه إلى طبيعتها

(هذه صفحة من مخطوط كامل الصناعة الطبية لعلي بن عباس المجوسي.)

ولا يفوتنا أن ننوه بحقيقة أن هناك مجموعة من علماء الغرب حاقدة على الإسلام غرتهم أنفسهم ،بأن يستولوا على بعض نظريات علي بن عباس الأهوازي المهمة في الطب وينسبوها لأنفسهم أو لبعض علماء الغرب المشهورين في حقل الطب، وأمثال ذلك وليم هارفي عندما نسب لنفسه اكتشاف الدورة الدموية والذي تطرقنا لذكره آنفًا. وعلى كلٍّ فإن هناك في هذه الأيام مجموعة من العلماء في الشرق والغرب مهتمين بتحقيق التراث العلمي العربي الاسلامي محاولين إرجاع الحق إلى أهله.

ولو أننا عدنا قليلاً إلى كتاب كامل الصناعة الطبية لوجدنا أنه امتاز بأسلوبه العلمي السلس وأفكاره العلمية الواضحة الجلية. لهذا نجد أن علماء تاريخ العلوم في العالم أعطوه أهميه كبرى، وذلك لما له من وثيق الصلة بجميع فروع الطب. فقد استعرض مؤلفه جميع أنواع العمليات الجراحية التي بالإمكان إجراؤها للإنسان. كما كان من العلماء الذين لهم صلة وثيقة بعلم العقاقير. ملمًا إلمامًا جيدًا بجميع أنواع الأدوية التي يمكن أن يتناولها المريض. حتى انه أفرد جزءًا كبيرًا في كتابه لعلم العقاقير وأهميتها.

* * *

۰ المصادر والمراجـع ۰

۰ روعي في ترتيب أسماء المؤلفين اعتبار الحرف الأخير من الاسم.

(١) **عباس الأهوازي** : كامل الصناعة الطبية.
(٢) **إدوارد ج. براون** : الطب العربي.
(٣) **أحمد عيسى بك** : آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب.
(٤) **أوسل تمكن** : تاريخ أفيلبسيا من عصر اليونان إلى ظهور دراسة الجهاز العصبي الحديث.
(٥) **جمهرة من المؤلفين العرب** : الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.
(٦) **محمود دياب** : الطب والأطباء في مختلف العصور الإسلامية.

(٧) سامي حداد : مآثر العرب في العلوم الطبية.
(٨) نشأت الحمارنة : الكحـال.
(٩) أمين أسعد خير الله : الطب العربي.
(١٠) أحمد شوكت الشطي : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه.
(١١) زكي علي : رسالة الطب العربي وتأثيره على مدينة أوروبا.
(١٢) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب.
(١٣) التيجاني الماحي : مقدمة في تاريخ الطب.
(١٤) جلال مظهر : أثر العرب في الحضارة الأوروبية.
(١٥) جلال مظهر : حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العلمي.
(١٦) إسماعيل محمد هاشم : محاضرات في نصيب العرب في تقدم العلم والحضارة.

●●

◦ الهوامـش ◦

(١) الملك عضد الدولة البويهي فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي الذي حكم في المدة من ٣٣٧ هجرية إلى ٣٧١ هجرية (من ٩٤٩ ميلادية إلى ٩٨٢ ميلادية) والمؤسس للمستشفى العضدي في بغداد. ولد في أصفهان ومات في بغداد، وكان مغرمًا بالعلوم محبًا للفقراء بشاهنشاه.

(٢) قسطنطين الأفريقي من القطر التونسي، دينه الإسلام ولغته العربية، تلقى علمه في بغداد، وتوفي عام ١٠٧٨ ميلادية. فهو من الذين أسهموا في إنقاذ أوروبا، وذلك بترجمته لكتب الطب من اللغة العربية إلى اللاتينية. بل الأصح أن معظم المؤرخين يعتبرونه أول من نقل إلى اللغة اللاتينية مصنفات العرب الطبية.

(٣) وليم هارفي إنجليزي الأصل، اشتهر في حقل الطب وبخاصة الدورة الدموية وعلم التشريح. ولد هارفي عام ١٥٧٨ ميلادية، كان والده من كبار رجال الأعمال في لندن. توفي هارفي عن عمر يناهز الثمانين سنة.

(٤، ٥) هكذا بالأصل الذي نقلنا عنه أو لعله تصحيف لكلمة خراج بمعنى (اقراز).

> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».
>
> «متفق عليه»